

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس السادس والثلاثون : من كتاب تفسير القرآن من صحيح الإمام البخاري

سُورَةُ آلِ عُمَرَانَ

بَابُ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ﴾ "سَوَاءٌ: قَصْدٌ"

4553 - حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، عَنْ هَشَامٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَاقَ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَتْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَفْيَانٍ، مِنْ فِيهِ إِلَيْهِ، قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي الْمَدْةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّامِ، إِذْ جَيَءَ بِكِتَابٍ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرَقْلَ، قَالَ: وَكَانَ دَحِيَّةُ الْكَلِبِيُّ جَاءَ بِهِ،

فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمٍ بَصْرِيِّ، فَدَفَعَهُ عَظِيمٌ بَصْرِيِّ إِلَى هَرْقَلَ، قَالَ: فَقَالَ هَرْقَلَ: هَلْ هَا هَنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمٍ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدَعَيْتُ فِي نَفْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَدَخَلْنَا عَلَى هَرْقَلَ فَاجْلَسْنَا بَيْنَ يَدِيهِ، فَقَالَ: أَيْكُمْ أَقْرَبُ نَسْبًا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبُو سَفِيَّانَ: فَقَلْتُ: أَنَا، فَاجْلَسْوَنِي بَيْنَ يَدِيهِ، وَاجْلَسْوَا أَصْحَابَيِّ خَلْفِيِّ، ثُمَّ دَعَا بِتَرْجِمَانِهِ، فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَأْلُ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَّبَنِي فَكَذَّبُوهُ، قَالَ أَبُو سَفِيَّانَ: وَأَيمُونَ اللَّهِ، لَوْلَا أَنْ يَوْئِنُوا عَلَيَّ الْكَذْبَ لَكَذَبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجِمَانِهِ، سَلَّهُ كَيْفَ حَسْبَهُ فِيكُمْ؟ قَالَ: قَلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو حَسْبٍ، قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ أَبْنَائِهِ مَلَكٌ؟ قَالَ: قَلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَهْمِمُونَ بِالْكَذْبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قَلْتُ: لَا، قَالَ: أَيْتَبِعُهُ أَشْرَافُ النَّاسِ أَمْ ضَعْفَاؤُهُمْ؟ قَالَ: قَلْتُ: بَلْ ضَعْفَاؤُهُمْ، قَالَ: يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قَالَ: قَلْتُ لَا بَلْ يَزِيدُونَ، قَالَ: هَلْ يَرْتَدُ أَحَدُهُمُ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ؟ قَالَ: قَلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قَاتَلَكُمْ إِيَامًا؟ قَالَ: قَلْتُ: تَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَجَالًا يُصْبِبُ مَنَا وَنُصْبِبُ مِنْهُ، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قَالَ: قَلْتُ: لَا، وَنَدَنْ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْمَدْهَةِ لَا نَدْرِي وَمَا هُوَ صَانِعٌ فِيهَا، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَهْكَنْتِي مِنْ كَلْمَةٍ أَدْخُلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلُ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ قَلْتُ: لَا، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجِمَانِهِ: قُلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ حَسْبِهِ فِيكُمْ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو حَسْبٍ، وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تَبَعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ فِي أَبْنَائِهِ مَلَكٌ، فَزَعَمْتَ أَنَّ لَا، فَقَلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ أَبْنَائِهِ مَلَكٌ، قَلْتُ: رَجُلٌ يَطْلَبُ مَلَكَ أَبْنَائِهِ، وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتَبَاعُهُ أَضْعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشْرَافُهُمْ، فَقَلْتُ: بَلْ ضَعْفَاؤُهُمْ، وَهُمْ أَتَبَاعُ الرَّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَهْمِمُونَ بِالْكَذْبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لَا، فَعَرَفْتَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدِعَ الْكَذْبَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ يَذْهَبُ فِيَكَذْبٍ عَلَى اللَّهِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُ أَحَدٌ مِنْهُمُ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ، فَزَعَمْتَ أَنَّ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَتَمَّ وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ فَزَعَمْتَ أَنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ، فَتَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَجَالًا يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تَبَتَّلُ ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لَا يَغْدِرُ، وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ لَا تَغْدِرُ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ، فَزَعَمْتَ أَنَّ لَا، فَقَلْتُ: لَوْ كَانَ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ، قَلْتُ: رَجُلٌ أَتَمُّ بِقَوْلٍ قَبْلَهُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ: قَلْتُ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّلَةِ وَالْعَفْافِ، قَالَ: إِنْ يَكُ مَا تَقُولُ فِيهِ حَقًا، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَقَدْ كُنْتَ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَمْ أَكُ أَظْنَهُ مُنْكِرٌ، وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لِأَحْبِبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغْسَاتٍ عَنْ قَدْمِيَّهِ، وَلَيَلْغُفِ

666
ملّكه ما تَدَتَ قَدَمِيَ، قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَهُ:
فَإِذَا فِيهِ بِسْمُ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هَرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى
مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدُعَائِيَّةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلَمْ تَسْلِمْ، وَأَسْلَمْ يُؤْتَكَ اللَّهُ
أَجْرُكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّتْ فَإِنَّ عَلَيْكَ أُثْمَ النَّرِيْسِيْنِ، وَ: {يَا أَهْلَ الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ
سَوَاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهُ} إِلَى قَوْلِهِ: {اَشْهَدُوا بِمَا مَسَّمُونَ} [آل عمران: 64]
فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ، ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ عِنْهُ وَكَثُرَ الْلَّفْطُ، وَأَمْرَ بَنَا فَأَخْرَجْنَا، قَالَ:
فَقَلَّتْ لِأَصْحَابِيِّ حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمْرَ أَمْرَ أَبْنَ أَبِي كَبِشَةَ، إِنَّهُ لِيَخَافُهُ مَلْكُ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَمَا
زَلَتْ مَوْقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَيُظْهَرُ حَتَّى أَدْخُلَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْإِسْلَامَ، قَالَ الزَّهْرِيُّ: فَدَعَا هَرَقْلَ عَظِيمَ الرُّومِ فَجَمِعُوهُمْ فِي دَارِهِ، فَقَالَ: يَا مَعْنَشَ الرُّومِ،
هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرِّشْدِ أَخْرَ الذَّبَدِ، وَأَنْ يَثْبِتَ لَكُمْ مَلْكُكُمْ، قَالَ: فَحَاسَوْا حِيْصَةَ حَمَرِ
الْوَحْشِ إِلَى الْذَّبَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غَلَقَتْ، فَقَالَ: عَلَيْهِمْ، فَدَعَا بِهِمْ فَقَالَ: إِنِّي إِنَّمَا
اخْتَرَتُ شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكُمُ الَّذِي أَحِبَّتُ فَسَجَدُوا

عصر يوم الخميس 23 رجب 1443 هجرية